أحمد عرابى

أسامة عبد الرحمن

مقدمة

في مواقف معينة يحضر شخوص بعينهم، بما يمثلونه في الذاكرة من معان، وما يبعثونه في النفس من شجون، كأن تحضر الأم حين يشعر المرء مهما كبرت سنه وغمر الشيب رأسه بالحاجة إلى الحنان، أو أن يحضر صديق وفيّ غيّبه الموت، أو باعدت بينك وبينه الدنيا وشواغلها، في لحظة تشعر فيها أن الوفاء صار بضاعة راكدة لا تجد من يشتريها، أو تمر بخيالك أطياف حب قديم خلت أنك نسيته، فإذا به ينعش قلبك ويداعب شغافه، ويمنحك طاقة هائلة وقدرة على الاستمرار في الحياة.

هؤلاء الشخوص يمثلون معاني بعينها، يجسدونها بشراً من لحم ودم، نسميهم الرموز ونخلع عليهم قداسة من نوع ما، خصوصاً إذا انطبقت دلالات القيمة الإنسانية التي يمثلونها على سيرتهم الشخصية، فصاروا هم بذواتهم قيما تمشي على الأرض.

من هؤلاء السياسى الوطنى العظيم أحمد عرابى الذى ثار ضد ظلم الخدبو رافضا سياسة التميز التى كان يتبعها ضد الضباط المصريين كما ثار ضد اكثر وزير للجهادية (وزير الدفاع فى التعريفات المعاصرة) كما وقف ضد الاحتلال الانجليزى للبلاد .ولولا الخيانات التى تعرض لها لما تمكنت انجلترا من دخول البلاد ولتغير تاريخ المنطقة .

وحرصاً منا على ايفاء الرجل حقه من التعريف به لدى أجيال لا تعرفه ولا تعرف أنه باعث الوعى القومى العربى بعد سنوات من الاظلام المتعمد والتجاهل الممنهج لرموز الأمة حتى تخرج أجيال ليس لديها قدوة تقتدى بها ولادليل يهتدون به ولا مثال يحتذونه فقد خصصت هذا الجزء من سلسلة شخصيات مصرية بارزة للزعيم الوطنى المخلص أحمد عرابى الذى رغم وضوح تاريخه فقد اتهمه البعض بالخيانة لاأدرى جهلاً أم تجاهلاً.

المؤلف

الباب الاول

الميلاد والنشأة

☆☆☆

نشأته

ولد احمد عرابى سنة ١٨٤١ فى قرية هرية رزنه فى الشرقيه التى تبعد ٣ كيلو عن الزقازيق وكانت ضاحيه من مدينة بسطه القديمه كان أبوه محمد عرابى متعلماً تعلم فى الأزهر على ايدي مشايخ كبار وكان شيخ القريه وأمه فاطمه سليمان السيد زيد على صلة قرابه بأبيه

وكان عرابى هو الولد الثانى فى اخوته البنين فقد كان له اخوه ثلاثة بنين وست بنات أما الابن الأكبر فهو محمد وشقيقيه الصغيرين هما عبد السميع وعبد العزيز تعلم احمد عرابى مبادىء القراءه والكتابه على يدى مدرس قبطى اسمه ميخائيل غطاس وفي سن الثامنة قبل وفاة ابيه طلب منه أن يلحقه بالجامع الأزهر فأجاب طلبه وأرسله إلى القاهرة فدخل الأزهر في نوفمبر ١٨٤٩م، ومكث فيه أربع سنوات أتم خلالها حفظ القرآن الكريم و أجزاء من الفقه والتفسير ، وقد توفي والده في ٢٣ يوليو ١٨٤٨م لإصابته بوباء الكوليرا وكان يبلغ من العمر ٦٣ عاماً،

وكان سن عرابي آنذاك ٨ سنوات وكان أخوه محمد هو الذى يقوم بالإنفاق عليه وكان مصدر عيش الأسرة ريع ٧٤ فداناً تركها والده وبعد سنتين من اتمام دراسته فى الأزهر رجع إلى قريته.

حياته العسكرية

حين أمر محمد سعيد باشا بإلحاق أبناء المشايخ والأعيان بالجيش ضمن جهوده للمساواة بين الشركس والمصريين، التحق عرابي بالخدمة العسكرية في ٦ ديسمبر ١٨٥٤م وبدأ كجندي بسيط ولحسن كتابته عين ضابط صف بدرجة أمين بلوك مساعد حالياً، واستفاد من نظام الترقي بالامتحانات فوصل إلى رتبة ملازم ثاني بعد أربع سنوات فقط في الخدمة، ثم ارتقى عرابي سلم الرتب العسكرية بسرعة في عهد سعيد باشا حيث حصل خلال عام ١٨٥٩م على ترقيتين هما يوزباشي نقيب حالياً وصاغ رائد حالياً

وخلال عام ١٨٦٠م رقي إلى بكباشي مقدم حالياً ثم إلى قائمقام عقيد حالياً وهو لم يكمل العشرين عاماً كان سعيد باشا يثق بعرابي إلى درجة أنه كان يشركه معه في ترتيب المناورات الحربية، ووصلت درجة التقارب بينه وبين سعيد باشا أن أهداه كتاباً عن تاريخ نابليون بونابرت مكتوباً باللغة العربية.

تغيرت الأوضاع بعد وفاة سعيد باشا وتولي خلفه الخديوي إسماعيل، فعادت التفرقة بين المصريين والشراكسة في الجيش ووقع خلاف بين عرابي وأحد اللواءات الشراكسة يدعى خسرو باشا الذي سعى لإقالته بدعوى شراسة خلقه وقوة عناده وقدم بسببها للمحاكمة العسكرية وحكم عليه المجلس بالسجن واحد وعشرين يوماً، لكنه استأنف الحكم أمام المجلس العسكري الأعلى الذي قضى بإلغاء الحكم الابتدائي، وبسبب ذلك حدث خلاف بين وزير الحربية وقتئذ إسماعيل سليم باشا وبين رئيس المجلس العسكري الأعلى؛

لأن الوزير كان يرغب في تأييد الحكم الابتدائي، وذهب وزير الحربية إلى الخديوي إسماعيل ليفصل عرابي وتم فصله فعلاً وتركت هذه الحادثة في نفسه كراهية شديدة للضباط الشراكسة وسيطرتهم على الجيش وحاول رفع مظلمة للخديوي إسماعيل لكن لم يتم النظر فيها، وحاول رفع الكثير من المظالم إليه مده ثلاثة أعوام وفي هذه الفترة التحق بوظيفة في دائرة الحلمية، وخلال شغله هذه الوظيفة تزوج من كريمة مرضعة الأمير إلهامي باشا وهي أخت حرم الخديوي محمد توفيق فيما بعد من الرضاعة ومن هنا كانت وساطة بعض المقربين من زوجته لاستصدار أمر من الخديوي إسماعيل بالعفو عنه وإعادته إلى الجيش برتبته العسكرية التى خرج عليها، وحرم من مرتبته خلال مدة فصله فزادت كراهيته على أوضاع الجيش ونفوذ الضباط الشراكسة وتعنتهم مع الضباط المصريين، بعد ذلك عين مأموراً للحملة العسكرية المصرية في الحبشة، وهذه الحملة انتهت بهزيمة الجيش المصري وكان للهزيمة أثر كبير في نفسه مما رآه من استهتار للقيادة الشركسية.

كان فى صيف سنة ١٨٧٥ أمر راتب باشا بمجى صف الضباط فى ساحة قصر النيل فراح عرابى مع زمايله وهناك قال لهم راتب باشا ان أفندينا سعيد باشا سمع ان صف الضباط القدامى يشتكون من ترقية صف ضباط جداد وهم لا يتم ترقيتهم فقرر أن لا أحد يترقى دون امتحان نظرى وعملى ومن يتفوق فى الامتحان يرقى بغض النظر عن مدة خدمته، فتقدم عرابى خطوه لأمام وحده وطلب ان يتم امتحانه ولما رأى زملاؤه جرأته تقدم منهم ٢٠ رجل، واقيم الامتحان وكان عرابى الأول على كل صف الضباط وأخد نيشان الباشجويش وبعد سنه حضر امتحان ثانى ورقى لرتبة ملازم تانى وبعد سبع شهور حضر امتحان للضباط وكان أحمد عرابى الأول فيه، ولما رأى سعيد باشا النتيجه أمر بامتحانه مرة أخرى تحت اشراف سليمان الفرنساوى نفسه وذهب سليمان الفرنساوى بعد الامتحان للخديوى وقال له ان عرابى يستحق أن يكون أميرالاى لأنه يعرف أكثر مما تتطلبه رتبته فقال له الخديوى هذا لا يمكن ابداً، فقال سليمان الفرنساوى يرقى على الاقل لرتبة بكباشى، لكن الخديوى رفض ورقى بعد ذلك بلا امتحانات لرتبة صاغ قول أجاسى وعين فى بنى سويف.

بعد فترة أقام سعيد باشا حفل كبير بمناسبة طهور ابنه الوحيد طوسون ودعى الأمراء والضباط والخواجات ووقف سعيد باشا وقال أنه بصفته مصرى من المصريين قرر إنه يثقف ولاد مصر ويعلمهم ويرقيهم لأن حكومة البلد ستكون فى أيديهم فلما سمع الأجانب ذهلوا لكن المصريين شكروه ودعو له.

فى صيف ١٨٦٠ رقى أحمد عرابى لرتبة بكباشى وبعدها بسنه رقى لرتبة قائمقام وبقى فى مصر أربع قائمقام اثنين منهم مصريين واثنين شركس كل منهم تسلم قيادة آلاى بياده وفى نفس السنه سافر عرابى مع سعيد باشا الحجاز.

فى سنة ١٨٦٢ اكتشف سعيد باشا أن حكومته عليها مديونة بحوالى ٦ مليون جنيه مصرى و كان ايامها يساوى إيراد الدوله فى سنه تقريباً المبلغ كان لشرا اسلحه و مهمات حربيه من اوروبا فقرر سعيد باشا رفد كل الآلايات من الخدمه ولم يترك الا أورطه واحده، واحال الضباط فى المحافظات والمديريات إلى المعاش بنصف مرتباتهم.

فى هذه الظروف فى سنة ١٨٦٣ توفى سعيد باشا وتولى مكانه ابن أخوه اسماعيل باشا وعين عرابى قائمقام ٦ جى آلاى بياده وكان ضباطه افضل ضباط فى مصر بسبب تفوقهم على كل الضباط الآخرين مع أن أغلبهم كانو مثل أحمد عرابى فى الأصل فلاحين .

فى عهد اسماعيل باشا

لما تولى اسماعيل باشا حكم مصر سنة ١٨٦٣ أمر بتكوين ست آلايات بياده (لواء مشاة)، وعين احمد عرابى قائمقام فى الآلاى السادس وكان خسرو باشا أميرالاى على الآلاى الثانى وكان متعصباً لأولاد جنسه فحاول الايقاع بعرابى ليعين مكانه شركسى اسمه مصطفى افندى سليم .

وعقدت امتحانات لترقية الضباط وكان أحمد عرابى كان من المشرفين على الامتحانات وبعد ما كتبت تقارير الناجحين وختمت طلب خسرو باشا تبديل ورق مجند لم يوفق من أورطة البكباشى مصطفى أفندى سليم بورقد ناجح فرفض أحمد عرابى وقاله أن هذا تزوير

وتم طرد عرابى من الخدمة لكنه عاد مرة أخرى بعد وفاة ناظر الجهادية الموالى لخسرو وسافر خسرو الى السودان ١٨٦٦ لكن عرابى طلب أن يعين فى ديوان الماليه لأن ناظر الجهاديه الجديد كان مساعد لخسرو باشا فعين عرابى محافظ على بحر مويس ومنطقه فى مديرية الشرقيه وبقى حتى عين قاسم باشا فتحى ناظر للجهاديه فطلب من عرابى أن يعود للجيش فوافق عرابى وعين قائمقام فى ٢ جى آلاى بياده فى سنة ١٨٧١.

اشترك عرابى فى حملة الحبشه (١٨٧٥ - ١٨٧٦) فى منصب مأمور وسافر على مصوع وبعد نهاية الحرب رجع للآلاى فى رشيد لكن صدر أمر بتسريح تلت الآلايات وتسليم اسلحتهم وكان لآلاى عرابى من ضمنهم فى هذه الفتره تمرد بعض الضباط والتلاميذ فى المدرسه الحربيه وحاصرو ديوان الماليه واتهم عرابى وعلى الروبى ومحمد باشا النادى أنهم كانو وراء التمرد،وتم تشكيل مجلس عسكرى فوق العاده تحت رياسة رئيس أركان الحرب أسطون باشا وكان ضابطاً أمريكياً واستبعد على الروبى من الجيش وعين رئيس لمجلس المنصوره وأبعد نادى باشا عن القاهره وبقى قائد آلاى فى اسكندريه ونقل عرابى لديوان الماليه.

فى عهد الخديوى توفيق

فى سنة ١٨٧٩ عزل اسماعيل باشا ونفى إلى ايطاليا ونصب ابنه محمد توفيق مكانه فى فترة اسماعيل باشا لم يتل عرابى أى ترقيه ولم ينعم عليه بإقطاع ولا نيشان لكن فى بداية عهد الخديوى توفيق رقى عرابى لرتبة آميرالاى على الآلاى الرابع وراح على قصر رآس التين فى اسكندريه ليشكر الخديوى الجديد فعينه الخديوى ياوران له لكن بعد ما عين عثمان رفقى باشا الشركسى ناظر للجهاديه اخذ يمنع ترقية المصريين فى الجيش ويعين الشراكسه فى المناصب الكبيره وابتدأ الضباط المصريين يتمردو وطلبو من عرابى أن يكون زعيمهم ولما رفض لخطورة الموضوع الحو عليه و قالو له احنا نفديك ونفدى مصر بأرواحنا فطلب منهم أن يقسمو له فأقسمو.

عريضة عرابى

كتب عرابى عريضه لرئيس النظار رياض باشا اشتكى فيها من تعصب عثمان رفقى باشا للشراكسه وإجحافه بحقوق المصريين وطلب مطالب هى:

تشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمه المصريه تنفيذاً لأمر الخديوى الذى أصدره حين تولى الحكم.

تعديل القوانين العسكريه بحيث تساوى بين كل الموظفين بصرف النظر عن الجنس والدين والمذهب.

تعيين ناظر الجهاديه من أبناء مصر حسبما قول القوانين العسكريه الموجوده.

توصيل عدد الجيش ل ١٨ الف حسبما قال فرمان السلطان العثمانلى.

الحق انه ليس هناك خطر وانهم يعتبروه أبو المصريين فلماذا يهددهم فرد عليه ان البلد ليس فيها أحد يصلح ليكون فى مجلس نواب فقال له عرابى: غريبه انك مصرى وباقى النظار مصريين والخديوى مصرى، أنت فاكر أن مصر خلفتكم وعقمت بعدكم! لا مصر فيها علما وناس فاضله ونبيهه، وحتى لو افترضنا ان ما فيهاش فممكن يتعمل مجلس يكون زى مدرسه ابتدائى وبعد خمس سنين يتخرج منها رجال يخدمو الوطن بأفكارهم ويعضدو الحكومه فى مشروعاتها الوطنيه، فرد الناظر: حاندرس طلباتكو بدقه، وانصرف عرابى وزميلاه .

فى ٣١ يناير ١٨٨١ عقد الخديوى توفيق اجتماع فى عابدين حضره كل الباشاوات فى الخدمة والمعاش وكانو كلهم شراكسه وأتراك وأوروبيين وقررو فى الاجتماع عزل أمراء الآلايات الذين وقعوا على العريضه ومحاكمتهم فى مجلس عسكرى مختلط وقال رئيس النظار رياض باشا ويعزل ناظر الجهاديه

لأن عدم عزله يمثل خطر كبير لكن الخديوى لم يوافقه وتعهد عثمان رفقى باشا ناظر الجهاديه بتوقيف أمراء الآلايات الثلاثه عند حدهم فوجه احمد خيرى باشا الشركسى وكان مهردار الخديوى وقرأ أمراً يقول معناهاتهام عرابى وزميلاه انهم مفسدون فى الأرض ويجب عزلهم من الخدمه ومحاكمتهم ومعاقبتهم بأشد أنواع العقاب فى مجلس عسكرى فوق العاده تحت رياسة ناظر الجهاديه .

القبض على عرابى وزميلاه

فى نفس اليوم أرسل ناظر الجهاديه لعرابى وزميلاه دعوه لحضور فرح جميله هانم أخت الخديوى يوم ٢٧ اغسطس ١٨٨١، وشعر الثلاثة أن هناك خدعة لأن ميعاد الفرح لم يحن بعد ، فجهزو أنفسهم وفى يوم الفرح المزعوم ذهبو إلى ديوان الجهاديه فوجدوه ملئ ضباط شراكسه من كل الرتب والضباط الصغاريحملون طبنجات جاهزة ولما دخل عرابى وزميلاه طلب منهم الوقوف أمام مجلس وقرئ عليهم قرار اجتماع الخديوى وأمرو بتسليم سيوفهم وقبض عليهم

وأودعو فى سجن فى قصر النيل وبعد قفل الزنزانه جاء خسرو باشا وقال لهم : ايه زنبيل لى هرفلر يعنى فلاحين شغالين بمقاطف لكن وصلت اورطتين من آلاى حرس الخديوى بقيادة البكباشى محمد افندى عبيد وحاصرو ديوان الجهاديه وفتحو الزنزانه وأخرجوهم وهرب ناظر الجهاديه وكل من كان فى المجلس وغيرهم.

ذهب أحمد عرابى وحذر الجنود وطلب منهم عدم ايذاء أحد من الشركس واحتضن اسماعيل كامل باشا الشركسى .

حادثة عثمان رفقي

أصدر ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا عدداً من القرارات التي اعتبرها الضباط المصريون تحيزاً للشركس في الجيش على حساب المصريين:

١- منع ترقية ضباط الصف المصريين والاكتفاء بخريجي المدارس الحربية.

٢- استبدال بعض كبار الضباط المصريين بالشراكسة في المواقع القيادية بالجيش.

أثارت تلك القرارات غضب الضباط المصريين واتهموا الشراكسة بالعمل على استعادة دولة المماليك، ثم اجمع الضباط المصريون على تقديم مذكرة لرياض باشا رئيس النظار وقعها عرابي واثنان من زملائه اشتملت على النقاط التالية:

١- التظلم من انحياز عثمان رفقي للشراكسة.

٢- المطالبة بتعديل قوانين الجيش للمساواة بين جميع الأجناس في الجيش.

٣- تعيين ناظر للحربية من الوطنيين.

٤- المطالبة بقيام مجلس نواب وطني كما وعد الخديوي إبان توليه.

٥- زيادة عدد الجيش المصري إلى ١٨ ألفاً.

استجاب الخديوي لمطالبهم وعين محمود سامي باشا بعد تزكية عرابي له رغم كونه من الشراكسة وشرع محمود سامي في تعديل القوانين العسكرية وإصلاحها، ولكن سرعان ما عزله رئيس النظار وعين مكانه داود باشا يكن الذي أصدر عدداً من القرارات التي رفضها الضباط المصريون، وقدموا مذكرة ثانية في صباح يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١، يعلمون فيها الحكومة بقدوم كامل القوات المقيمة بالقاهرة إلى سراي عابدين في عصر نفس اليوم لعرض طلباتهم على الخديوي ثم خاطبوا القناصل الأجانب لتطمينهم على سلامة رعاياهم وقد استجاب الخديوي لمطالبهم مرة ثانية فأسقط الوزارة و أنشأ مجلساً للنواب وزاد عدد الجيش.

تشكيك

هل ذهب أحمد عرابى لـ قصر الخديو توفيق؟

هناك روايات كثيرة عن ثورة عرابى فى وجه الحكام لرفع الظلم عنه وعن زملائه الضباط المصريين فهناك من يؤيد وهناك من صصنعته التشكيك فى كل ما هو جيد فى مصر فمثلاً تقول القصة أنه فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ كان التاريخ مستعداً لتسجيل لحظة مهمة هى اندلاع الثورة العرابية بقيادة الزعيم المصرى الكبير أحمد عرابى،الذى وقف فى ساحة قصر عابدين على حصانه وصاح لقد خلقنا الله أحراراً ولن نستبعد بعد اليوم لكن هناك من يشكك فى هذه القصة ويرى أنها لم تحدث أصلا.. فما الحقيقة فى ذلك؟

المشككون فى الرواية

فى سنة ٢٠١٣ أنكر الكاتب الصحفى حلمى النمنم، وزير الثقافة الحالى، فى لقاء تليفزيونى لبرنامج حدوتة مصرية أن يكون الزعيم أحمد عرابى،قد ذهب إلى قصر الخديوى، مؤكداً غياب الوثائق التى تخبرنا بهذا الحدث.

وفى سنة ٢٠١٤ ذهب الصحفى إبراهيم عيسى إلى تأكيد الكلام نفسه، حيث قال أحمد عرابى ماركبش الحصان بتاعه، ولا راح قصر عابدين ولا وقف قصاد الخديوى توفيق ولا قال له لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارا ولن نستعبد بعد اليوم، هذ الحوار وهذا المشهد لم يحدث على الإطلاق، لا حرفا ولا لفظا ولا موضوعا ولا مشهدا ولا حوارا.

وأشار إبراهيم عيسى إلى أن الإمام محمد عبده حينما كتب مذكراته عن الثورة العرابية، لم يأت بسيرة أحمد عرابى حين تحدث عن الثورة، وكشف أن عبد الله النديم صوت ولسان الثورة العرابية، أثناء التحقيقات معه، لم يحدث أنه تحدث عن هذه الواقعة من قريب أو بعيد.

المؤيدون لوقفة عرابى واعتمادا على موضوع نشره مينا سامر فى المنصة يورد عدداً من الروايات التى تؤكد أن عرابى وقف فى وجه الخديو توفيق هى:

الرواية الأولى: مذكراتى فى نصف قرن، أحمد شفيق باشا٠

فنزلنا فى الميعاد المحدد للمظاهرة إلى جناح التشريفات المطل على الميدان، ورأينا الجيش قادماً من جهة شارع عابدين، وقد اصطف جنود البيادة والسوارى والطوبجية فى أماكن بالميدان كانت كأنها مخصصة لكل سلاح من هذه الأسلحة، وعلمنا أن عرابى طلب على فهمى وسأله عن سبب حراسة آلايه للسراى فأجابه أنه إنما فعل ذلك من قبيل السياسة، وسحب عساكره وأخذ موقفه المتفق عليه، واستبدلهم عرابى بغيرهم لمنع الدخول إلى السراى أو الخروج منها.

وقد أرسل الخديوى فى طلب النظار وقناصل الدول والمراقبين، فنصح المراقب الإنجليزى الخديوى بالثبات وأن لا ينسى أنه ملك البلاد وتقدم عرابى راكباً جواده شاهراً سيفه وخلفه بعض الضباط فنزل الخديو إليهم من قصره غير مكترث لما قد يتعرض إليه من الأخطار، وكان معه السير أوكلاند كولفن المراقب

والمستر كوكسن قنصل إنجلترا فى الإسكندرية، ولم يتبعه سوى اثنين من عساكر الحرس الخصوصى أحدهما حسن صادق وكان ضخم الجسم فلما رأى عرابى شاهرًا سيفه، صاح به: اغمد سيفك وانزل عن جوادك، فامتثل ثم خاطبه الخديوى بقوله: ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا فرد عرابى قائلاً: جئنا يا مولاى لنعرض على سموك طلبات الجيش والأمة فقال الخديو: وما هي؟ فقال: هى إسقاط الوزارة المستبدة وتشكيل مجلس نواب وتنفيذ القوانين العسكرية التى أمرتم بها.

فقال الخديو: كان فى إمكانك تقديمها للحكومة وعند ذلك أشار عليه المستر كولفن باللغة الإنجليزية،أن يعود للقصر وبقى هو يناقش عرابي.

الرواية الثانية: الكافى تاريخ مصر القديم والحديث، ميخائيل شاروبيم،

أما الخديوى فإنه لما وصل إلى رأس الطريق الموصل إلى ميدان عابدين ورأى الميدان غاصاً بالجند والخيل والمدافع والخلق الكثير من العامة وهم فى خوف،عرج إلى طريق أخرى ودخل السراى من باب صغير أمام الجناح الذى بالجانب القبلى فى السراي، وكان معه فى مركبته كولفن المراقب الانجليزى وخلفه الجنرال استون باشا وثلاثة من الضباط فنزل وسار نحو الباب الغربى الموصل إلى الميدان حيث الجند والخيل فتقدم إليه فى الحال رضا باشا وأعلمه أن جند القلعة قد انضموا أيضاً إلى المتظاهرين ولم يسمعوا لمقدمهم كلمة، فالتفت كولفن إلى الخديوى عندئذ وقال إذا تقدم نحوك أحمد عرابى فأمره أن يرد سيفه إلى غمده ويتبعك، فإذا فعل تقدم أنت إلى رأس كل فريق من الجند ومُره بالانصراف فقدم الخديوى بقلب ثابت وشهامة كبرى وسار نحو أحمد عرابى وعبد العال باشا وأشار لهما بالسلام فسلما بالاحترام والتجلة والوقار، فقال لهم مالكم نبذتم طاعتى وعصيتم أمرى فقالوا حاشا نحن عبيدك المخلصون

فقال انصرفوا وسأبذل جهد الاستطاعة فى تحسين أحوال العسكرية وتنظيم قوانينها على قواعد ثابتة، فأجاب عرابى إنى وإخوانى وجميع ضباط الجيش وأفراد العسكر خاضعون لك يا مولاى وكلنا لا نبرح من هذا الموقف حتى تنجز لنا ما طلبناه فقال له الخديوى رد سيفك إلى غمده فأجاب سمعاً وطاعة وناول الخديوى ورقة وقال هذه يا مولاى ملحقة بمقترحات الوطن وبنيه فأخذها الخديوى وقفل عائداً إلى السراى ولم يأمر أحمد عرابى أن يتبعه ليقبض عليه كما أشاروا بذلك .

الباب الثاني

الثورة العرابية

☆ ☆ ☆

<u>الأوضاع الداخلية قبل الثورة</u>

كانت الأوضاع الداخلية فى البلاد تنذر بحدوث أمر ما حيث كان هناك بعض الأمور التى لا يمكن لأى مصرى وطنى أن يسكت عليها نضعها فى النقاط الآتية:

١- التدخل الأجنبي في شؤون مصر بعد صدور قانون التصفية عام ١٨٨٠.

٢- عودة نظم المراقبة الثنائية الإنجليزي الفرنسي.

٣- لجوء رياض باشا إلى أساليب الشدة والعنف مع المواطنين المصريين.

٤- معارضة تشكيل مجلس شورى النواب.

٥- سياسة عثمان رفقي الشركسي وانحيازه السافر للضباط الأتراك والشراكسة واضطهاده للضباط المصريين.

٦- سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة تخصيص مبالغ لسداد الديون للأجانب.

٧- انتشار الوعي الوطني بين المصريين.

الثورة

هي الثورة التي قادها أحمد عرابي في فترة ١٨٧٩-١٨٨٢ ضد الخديوي توفيق والتدخل الأجنبي في مصر وسميت آنذاك هوجة عرابي.

إن حادثة عرابى باشا التى وقعت عام ١٨٨١-١٨٨٢م كانت بحسب الرأى الشائع رد فعل الضباط المصريين ضد قادتهم الأتراك الذين لا يريدون ترقيتهم إلى الرتب العالية، وصداماً بين القومية العربية المصرية والقومية التركية في حين أن عثمان رفقى باشا ناظر الجهادية أحد المتسببين فى تلك الحادثة وهو من الجراكسة والواقع أن تلك الحادثة التى عرفت باسم مؤامرة الجراكسة قد وقعت نتيجة لقيام الضباط الشراكسة من ذوى الرتب العالية بتحريض المؤيدين لهم من ذوى الرتب الصغيرة على عدم إطاعة ضباطهم المصريين من ذوى الرتب العالية ولا شك أن عدم مشاركة الضباط الأتراك في تلك الحركة التى كانت تضم ١٥٠ شخصاً، وقيام العديد من القادة الكبار مثل شاهين باشا ودرمللى أحمد باشا ومرعشلى باشا بتأييد الحركة العرابية ومناصرتها.

قيام الثورة

اجتمع الأميرالاي أحمد عرابي في منزله مع مجموعة من الرفاق من قادة الجيش في ليلة ١٦ يناير ١٨٨١ وأخذوا يتناقشون فيما بينهم بشأن التصدي لما يقوم به ناظر الجهادية من اضطهاد للضباط المصريين وأتفقوا على اختيار احمد عرابي نائباً عنهم وقام عرابي بكتابة عريضة يطالب فيها بعزل ناظر الجهادية عثمان رفقي ووقع عليها هو وكل من الأميرالاي علي فهمي وعبد العال حلمي، وفي صباح ١٧ يناير توجهوا إلي مقر نظارة الداخلية وسلموا العريضة وطلبوا تقديمها إلى رياض باشا، وفي ٣١ يناير اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديوي وقرر تكليف وزير الحربية بإلقاء القبض على الضباط الثلاثة وتقديمهم للمحاكمة العسكرية.

واقعة قصر النيل ١ فبراير ١٨٨١م

وفي ١ فبراير ١٨٨١ دعي وزير الحربية الضباط الثلاثة إلى قصر النيل وهناك تم القبض عليهم وتجريدهم من أسلحتهم وإيداعهم في قاعة السجن تمهيداً لمحاكمتهم، فلما علم الآلاي الأول بقشلاق عابدين بالقبض على الضباط الثلاثة أمر البكباشي محمد عبيد بسرعة التوجه إلى قصر النيل لتحرير زملائهم، وهجم جنود الآلاي على القصر، وهرب عثمان رفقي من أحد النوافذ، وقام البكباشي محمد عبيد بتحرير الضباط الثلاثة، وخرجوا جميعاً بقيادة أحمد عرابي وتوجهوا إلى ميدان عابدين فيما عرف بمظاهرة عابدين الأولى، وهنا وجد الخديوي نفسه مجبراً على قبول طلبات عرابي ورفاقه، ونتج عنها:

١- موافقة الخديوي وهو مرغم على عزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي بدلاً منه.

٢- ارتفاع شأن عرابي كزعيم وطني مناهض للنفوذ الأجنبي.

مظاهرة عابدين ١٨٨١م

في ٩ سبتمبر ١٨٨١ وصلت الثورة العرابية إلى ذروتها حيث تحركت جميع الوحدات العسكرية المتمركزة في القاهرة إلى ميدان عابدين مع أحمد عرابي، وشملت أيضاً مشاركة الشعب المصري بكل طوائفه نتيجة نمو الوعي القومي وسخط الشعب من سوء الأحوال الاقتصادية، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، ووصل أحمد عرابي أمام قصر عابدين وخرج الخديوي توفيق ومعه القنصل البريطاني والمراقب المالي البريطاني وسط حرسه الخاص، وأعلن احمد عرابي مطالب الجيش والشعب المصري للخديوي توفيق، وهي:

١- عزل وزارة رياض باشا.

٢- انشاء مجلس نواب على النسق الأوروبي.

٣- زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندي طبقاً للفرمان السلطاني.

فرد الخديوي كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا فرد عليه عرابي قائلاً لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثاً أو عقاراً فوالله الذي لا إله إلا هو سوف لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم.

استجاب الخديوي لمطالب الأمة، وعزل رياض باشا من رئاسة الوزارة،وعهد إلى شريف باشا بتشكيل الوزارة، وكان رجلاً كريماً مشهوداً له بالوطنية والاستقامة، فألف وزارته في (١٩ شوال ١٢٩٨ هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٨٨١م)، وكان محمود سامى البارودى وزيراً للحربية بها، وسعى لوضع دستور للبلاد، ونجح في الانتهاء منه وعرضه على مجلس النواب الذي أقر معظم مواده، ثم عصف بهذا الجهد تدخل إنجلترا وفرنسا في شئون البلاد بإرسال المذكرة المشتركة الأولى في ٧ يناير ١٨٨٢ التي أعلنتا فيها مساندتهما للخديوي، وتأزمت الأمور، وتقدم شريف باشا باستقالته في (٢ من ربيع الآخر ١٢٩٩ هـ - ٢ فبراير ١٨٨٢ م) بسبب قبول الخديوي لتلك المذكرة.

وتشكلت حكومة جديدة برئاسة محمود سامي البارودي، وشغل عرابي فيها منصب وزير الحربية، وقوبلت وزارة البارودي بالارتياح والقبول من مختلف الدوائر العسكرية والمدنية؛ لأنها كانت تحقيقًا لرغبة الأمة، ومعقد الآمال، وكانت عند حسن الظن، فأعلنت الدستور، وصدر المرسوم الخديوي به في (١٨ ربيع الأول ١٢٩٩ هـ / ٧ فبراير ١٨٨٢ م) وسميت هذه الوزارة باسم وزارة الثورة لأنها حققت رضا الشعب والجيش كليهما.

بقاء عرابى فى منصبه

غير أن عرابي بقي في منصبه بعد أن أعلنت حامية الإسكندرية أنها لا تقبل بغير عرابي ناظراً للجهادية، فاضطر الخديوي إلى إبقائه في منصبه، وتكليفه بحفظ الأمن في البلاد، غير أن الأمور في البلاد ازدادت سوءاً بعد حدوث مذبحة الإسكندرية في (٢٤ رجب ١٢٩٩ هـ/يونيو ١٨٨٢)، وكان سببها قيام مكاري (مرافق لحمار نقل) من مالطة من رعايا بريطانيا بقتل أحد المصريين فاستغلت إنجلترا الفرصة، فشب نزاع تطور إلى قتال سقط خلاله العشرات من الطرفين قتلى وجرحى.

وعقب الحادث تشكلت وزارة جديدة ترأسها إسماعيل راغب، وشغل عرابي فيها نظارة الجهادية (الحربية)، وقامت الوزارة بتهدئة النفوس، وعملت على استتباب الأمن في الإسكندرية، وتشكيل لجنة للبحث في أسباب المذبحة، ومعاقبة المسئولين عنها.

ولقد قدم محمود سامى البارودى استقالتة لأنه عندما بدأت وزارة الثورة (وزارة محمود سامى البارودى وأحمد عرابى) قام أحمد عرابى بإصلاحات في الجيش المصري واقتصر على ترقية المصريين مما أدى إلى مؤامرة اغتيال عرابى من الاتراك والشراكسة (بسبب: ان في وزارة عثمان رفقى اقتصرت الترقيات على الشراكسة والأتراك وعندما عين أحمد عرابى أزال الفوارق حيث أن الكل سواسية فغضب الشراكسة والأتراك واتفقو على مؤامرة اغتيال عرابى) تم كشف مؤامرة قام بها بعض الضباط الجراكسة لاغتيال البارودي وعرابي ، وتم تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين ، فقضت بتجريدهم من رتبهم ونفيهم إلى أقاصي السودان ،

ولمّا رفع البارودي الحكم إلى الخديوي توفيق للتصديق عليه ، رفض بتحريض من قنصلي إنجلترا وفرنسا ، فغضب البارودي ، وعرض الأمر على مجلس النظار ، فقرر أنه ليس من حق الخديوي أن يرفض قرار المحكمة العسكرية العليا وفقاً للدستور ، ثم عرضت الوزارة الأمر على مجلس النواب ، فاجتمع أعضاؤه في منزل البارودي ، وأعلنوا تضامنهم مع الوزارة ، وضرورة خلع الخديوي ومحاكمته إذا استمر على دسائسه انتهزت إنجلترا وفرنسا هذا الخلاف ، وحشدتا أسطوليهما في الإسكندرية ، منذرتين بحماية الأجانب ، وقدم قنصلاهما مذكرة في ٢٥ مايو ١٨٨٢م إلى الإسكندرية ومطالبتهم بالآتى:

١- إسقاط وزارة البارودى.

٢- نفى عرابى إلى الخارج.

٣- إبعاد على فهمى وعبد العال حلمى إلى الأرياف.

وقد قابلت وزارة البارودي هذه المطالب بالرفض في الوقت الذي قبلها الخديوي توفيق ، ولم يكن أمام البارودي سوى الاستقالة وكان من نتائجها:

١- تقديم البارودى لاستقالته.

٢- التفاف الشعب حول عرابى وتثبيته في منصبة كوزير للحربيه.

الباب الثالث

احتلال مصر

☆ ☆ ☆

لم يكد يحضر الأسطولان الإنجليزي والفرنسي إلى مياه الإسكندرية حتى أخذت الدولتان تخاطبان الحكومة المصرية بلغة التهديد والبلاغات الرسمية، ثم تقدم قنصلا الدولتين إلى البارودي بمذكرة مشتركة في (٧ رجب ١٢٩٩ هـ = ٢٥ مايو ١٨٨٢ م) يطلبان فيها استقالة الوزارة، وإبعاد عرابي وزير الجهادية عن القطر المصري مؤقتًا مع احتفاظه برتبه ومرتباته، وإقامة علي باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي وهما من زملاء عرابي وكبار قادة الجيش في الريف مع احتفاظهما برتبتيهما ومرتبيهما.

كان رد وزارة البارودي رفض هذه المذكرة باعتبارها تدخلاً مهيناً في شئون البلاد الداخلية، وطلبت من الخديوي توفيق التضامن معها في الرفض؛ إلا أنه أعلن قبوله لمطالب الدولتين وإزاء هذا الموقف قدم البارودي استقالته من الوزارة، فقبلها الخديوي.

الحرب الإنجليزية المصرية (١٨٨٢)

تطورت الأحداث بسرعه في صيف عام ١٨٨٢ ومع ظهور الأسطول البريطاني الفرنسي المشترك في مياه الإسكندرية، ازدادت سخونة الأحداث ووجدت إنجلترا وفرنسا في أحداث الإسكندرية فرصة سانحة للتدخل واتهمتا عرابي في التسبب في حدوث هذه الأحداث حيث اعتبرتاه المسئول عن تحريض المصريين ضد الأجانب، ومن الغريب أن ذريعة الإنجليز لغزو مصر كانت الإرهاب.

حادثة الإسكندرية

اشتكت بريطانيا من قيام مصر بنصب مدافع على أسوار قلعة الإسكندرية، وطالبت مصر بتسليم القلعة، وذلك في ٧ يوليو ١٨٨٢، وفي ١٢ يوليو بدأ الإنجليز فى مهاجمة الإسكندرية ونزلت قواتهم إليها في اليوم التالي، بعد ما سحب عرابي قواته إلى كفر الدوار للتحصن بها نظراً لعدم القدرة على الدفاع عن الإسكندرية ،

واعلن الخديوى توفيق في عرابى باشا متمرداً، واستقبل في قصر الرمل بالإسكندرية قائد الأسطول البريطاني، معلناً انحيازه الواضح والصريح إلى الإنجليز، مطالباً عرابي بإنهاء التحصينات في كفر الدوار وتسليم نفسه .

يعتبر يوم الثلاثاء الموافق الحادى عشر من يوليو سنة ١٨٨٢م من الأيام المشهودة فى مصر بوجه عام وعلى الإسكندرية بوجه خاص إذ شهد هذا اليوم قيام بوارج الأسطول البحرى البريطانى بالعدوان على الإسكندرية وضربت بمدافعها حصونها المختلفة وفى هذا اليوم المشهود قام الجيش المصرى بواجبه فى الدفاع عنها بكل بسالة وشجاعة وسانده شعب الإسكندرية بكل طاقاته وإمكاناته .

وكانت مصر تشهد قيام الثورة العرابية التي كانت تعبر عن رغبة الجيش والشعب فى التخلص من الظلم والاستبداد والتدخل الاجنبي فى شئون البلاد وكانت الإسكندرية لها موقف حازم فى تأييد الثورة العرابية بكل ما كانت تملك من وسائل التغبير وعندما زاد الخلاف بين الوزارة المصرية والخديو توفيق اعتبرت انجلترا وفرنسا هذا العمل تهديداً لمصالحها الحيوية بمصر وقررتا إرسال أسطولهما إلى الاسكندرية على أثر ما بلغهما من اشتداد الخلاف الذى اعتبر من جانبهما ثورة من قبل العرابيين تستدعى التدخل وقررتا التدخل العسكرى على أن ترسل كل منهما ست بوارج إلى ميناء الإسكندرية وقد أدى تتابع دخول البوارج الانجليزية إلى الاسكندرية إلى قلق الراى العام المصري وقد دخلت الى الاسكندرية فى يوم الجمعة التاسع عشر من مايو ١٨٨٢م وما ان استقرت الدولتين على الاسكندرية وأخذتا تتدخلان تدخلاً سافراً فى شئون البلاد .

كان من الطبيعى ان تقوم مظاهرات عديدة حتى حدثت مذبحة الإسكندرية التى عانى فيها الأجانب والسكان على السواء وكثر القتلى من الجانبين وبلغ عدد القتلى والجرحى ٤٩ قتيلاً منهم٣٨ أجانب و١١ من الوطنيين وعدد الجرحى ٧١ منهم ٣٨ من الأجانب و٣٣ من الوطنيين أدى هذا الحادث إلى استياء العرابيين لأنه منح انجلترا وفرنسا فرصة للتدخل فى شئون البلاد بحجة حماية ممتلكات رعاياهما وفى أواخر مايو ١٨٨٢م بدأت انجلترا تعلن عن نيتها الانفراد بالتصرف فى شئون مصر وبدأت فى حشد القطع البحرية بناء على طلب قائد اسطولها تزعمت بريطانيا جهود القضاء على عرابي بينما تراجع الدور الفرنسي المنافس التقليدي للدور البريطاني إلى الاكتفاء بالمشاهدة وسحبت فرنسا أسطولها إلى بورسعيد وانتظرت بريطانيا أي فرصة لبدء العدوان على مصر حيث أنها لم تكن مرتاحة لفكرة التدخل التركي لحل الأزمة في السابع من يوليو وجدت بريطانيا الذريعة التي كانت في انتظارها كانت الحكومة المصرية

قد نصبت بعض المدافع على قلعة الإسكندرية فاعتبرت بريطانيا أن هذا عملاً عدائياً ضد حكومة صاحبة الجلالة وفي (٢٤ شعبان ١٢٩٩ هـ = ١٠ يوليو ١٨٨٢ م) وجه قائد الأسطول البريطانى إنذاراً للحكومة المصرية إما تسليم القلعة للأسطول البريطاني وإلا سوف تضرب الإسكندرية من البحر.

مارس الخديوي توفيق لعبته المعتادة حين قابل عرابى وشجعه على مقاومة المعتدين بينما كان قد اتصل سراً بقائد الأسطول البريطاني ودعاه إلى الهجوم على عرابي لم يقبل عرابي الإنذار البريطاني وانتظر تنفيذ البريطانيين لتهديدهم.

وفى ٤ يوليو ١٨٨٢م أرسل الاميرال سيمور إلى الاميرالية البريطانية برقية يقول فيها انه سيبدأ فى ضرب الاسكندرية بعد أربعة وعشرون ساعة ما لم تسلم الحصون القائمة فى شبه جزيرة رأس التين والحصون المشرفة على مدخل الميناء

وفى يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢م أمر الاميرال سيمور بضرب الاسكندرية فأخذ الاسطول البريطانى يقذف حممه على القلاع والحصون فى شدة وعنف بصورة لم يعهدها أهل الاسكندرية من قبل واستمر القذف من السابعة صباحاً وحتى السادسة مساءاً وكانت ذات قوة تدمير كبيرة بينما نجد أن القنابل التى كانت تدفعها الاستحكامات الساحلية ضعيفة وقصيرة المدى وسقط معظمها فى البحر قبل الوصول إلى الهدف ولم يقتصر الاسطول البريطانى على توجيه ضرباته إلى الحصون العسكرية بل امتد إلى العدوان على مدينة الاسكندرية نفسها وكان هدف البريطانيين تدميرها والحاق أبلغ الضرر بدورها ومنشآتها فأخذت قنابلهم تحصد الاهالى حصداً وتدمر البيوت فوق رؤوسهم ولم يتوقف ضرب الاسطول البريطانى إلا فى مساء يوم الحادى عشر من يوليو بعد ان استمر طوال اليوم وأتى على جميع حصون المدينة واستحكاماتها ومنشآتها وفى خلال هذا اليوم هاجر أهالى الاسكندرية وانتشروا على ضفاف ترعة المحمودية والقرى الواقعة على طريق الاسكندرية –القاهرة وقد بلغ عددهم ١٥٠ ألفا وكانوا فى حالة يرثى لها لما حل بمدينتهم وأسرهم .

وفى منتصف الساعة السادسة مساء يوم الاربعاء ١٢ يوليو ١٨٨٢م عجزت حصون الاسكندرية عن الاستمرار فى المقاومة وأعطى الاميرال سيمور أوامره بالكف عن ضرب الاسكندرية التى أصيبت بالخراب والدمار وكانت قنابل الاسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق أحياءها وتدمر المنازل من ناحية وتشعل النيران من ناحية ولم ينفرد الضباط والجنود المصريين بالدفاع عن الاسكندرية بل شاركهم أهالى الاسكندرية فقد تطوع السكندريون وقدموا ما استطاعوا من معونة وخدمات شهد بها الشيخ محمد عبده حين قال (فكان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها) وأكد احمد عرابي (فى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية واعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات).

وفى اليوم السادس عشر من يوليو ١٨٨٢م أرسل الاميرال سيمور بناء على اقتراح من الخديو توفيق سفينيتين إلى أبى قير للسيطرة على منطقتها إذا حاول عرابي هدم سدها وغمرها بمياه البحر وأصدر الخديو توفيق فى اليوم العشرين من يوليو ١٨٨٢م أمراً بعزل عرابي من وزارة الحربية والبحرية وتعيين عمر باشا لطفى محافظ الاسكندرية بدلاً منه وأذاع هذا الامر على شعب الاسكندرية وطالبهم بالانضمام تحت لوائه لمناصرة الجيش البريطانى والامتناع عن معاونة العرابيين ولم يؤثر ذلك على مشاعر الأمة التى انضمت كلها إلى جانب عرابي وقد استمرت التعزيزات البريطانية ترد إلى الاسكندرية وقد قامت عدة معارك فى الميدان الغربي بين الانجليز والعرابيين كانت فى جملتها فوز للعرابيين والانجليز لم يحققوا من خلالها أى نجاح حتى تمت عملية الغزو من الجبهة الشرقية وترتب عليها احتلال بريطانيا لمصر فى عام ١٨٨٢م .

وعلى الرغم من الاحتلال البريطانى لمدينة الاسكندرية ورغم ما فرضه عليها من قيود فقد استطاعت أن تنهض من جديد بعد الكارثة وأن تستعيد مركزها كأهم ميناء تجارى فى مصر وكعاصمة ثانية للبلاد أما من الناحية القومية فعلى الرغم من ازدياد النفوذ الأجنبي بالمدينة وبالرغم من اتخاذها قاعدة بحرية للاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط فقد قوى الشعور بالقومية لدى أهلها وأصبحت من أكبر معاقل حركة مصطفى كامل ونضاله من أجل الاستقلال كما كان لها دورها الفاعل فى الحركة القومية فى أعقاب الحرب العالمية الاولى .

حين سمع الخديوي توفيق بانسحاب عرابي أمام الإنجليز تشجع وظهر على حقيقته حيث أعلن أن عرابي متمرداً في الرابع والعشرين من يوليو وبدلاً من أن يقاوم الخديوي المحتلين، استقبل في قصر الرمل بالإسكندرية الأميرال بوشامب سيمور قائد الأسطول البريطاني، وانحاز إلى الإنجليز، وجعل نفسه

وسلطته الحكومية رهن تصرفهم حتى قبل أن يحتلوا الإسكندرية فأثناء القتال أرسل الإنجليز ثلة من جنودهم ذوي الجاكتات الزرقاء لحماية الخديوي أثناء انتقاله من قصر الرمل إلى قصر رأس التين عبر شوارع الإسكندرية المشتعلة ثم أرسل الخديوي إلى أحمد عرابي في كفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية، ويحمّله تبعة ضرب الإسكندرية، ويأمره بالمثول لديه في قصر رأس التين؛ ليتلقى منه تعليماته صارت المواجهة مكشوفة بين كل الأطراف منذ ذلك التاريخ.

قررت الحكومة البريطانية أن تكون المواجهة شاملة وأن تكون الحرب كاملة، فجلبت مزيد من قواتها إلى الحرب وتم تحريك ١٥،٠٠٠ جندي من مالطة وقبرص بالإضافة إلى ٥،٠٠٠ من الهند باتجاه مصر مما رفع تعداد قوة الهجوم على مصر إلى ٣٠،٠٠٠ جندي وضعت تحت قيادة السير جارنت ولسلي.

معركة كفر الدوار

رفض عرابي الانصياع للخديوي بعد موقفه المخزي، وبعث إلى جميع أنحاء البلاد ببرقيات يتهم فيها الخديوي بالانحياز إلى الإنجليز، ويحذر من اتباع أوامره، وأرسل إلى يعقوب سامي باشا وكيل نظارة الجهادية يطلب منه عقد جمعية وطنية ممثلة من أعيان البلاد وأمرائها وعلمائها للنظر في الموقف المتردي وما يجب عمله، فاجتمعت الجمعية في (غرة رمضان ١٢٩٩ هـ= ١٧ يوليو ١٨٨٢م)، وكان عدد المجتمعين نحو أربعمائة، وأجمعوا على استمرار الاستعدادات الحربية ما دامت بوارج الإنجليز في السواحل، وجنودها يحتلون الإسكندرية.

كان رد فعل الخديوي على هذا القرار هو عزل عرابي من منصبه، وتعيين عمر لطفي محافظ الإسكندرية بدلاً منه، ولكن عرابي لم يمتثل للقرار، واستمر في عمل الاستعدادات في كفر الدوار لمقاومة الإنجليز وبعد انتصار عرابي في معركة كفر الدوار أرسل عرابي إلى يعقوب سامي يدعوه إلى عقد اجتماع للجمعية العمومية للنظر في قرار العزل.

في (٦ رمضان ١٢٩٩ هـ = ٢٢ يوليو ١٨٨٢ م) عُقِد اجتماع في وزارة الداخلية، حضره نحو خمسمائة من الأعضاء، يتقدمهم شيخ الأزهر وقاضي قضاة مصر ومُفتيها، ونقيب الأشراف، وبطريرك الأقباط، وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون، ومديرو المديريات، وكبار الأعيان وكثير من العمد، فضلا عن ثلاثة من أمراء الأسرة الحاكمة.

في الاجتماع أفتى ثلاثة من كبار شيوخ الأزهر، وهم محمد عليش وحسن العدوي، والخلفاوي بمروق الخديوي عن الدين؛ لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، وبعد مداولة الرأي أصدرت الجمعية قرارها بعدم عزل عرابي عن منصبه، ووقف أوامر الخديوي ونظّاره وعدم تنفيذها؛ لخروجه عن الشرع الحنيف والقانون المنيف ولم يكتفوا بهذا بل جمعوا الرجال والأسلحة والخيول من قرى وعزب وكفور البلاد وقد قام العمدة محمد إمام الحوت عمدة الصالحية شرقية والعمدة عبد الله بهادر عمدة جهينة جرجاوية ببث الحماسة في الناس

وجمع ما يستطيعون من الرجال والسلاح لدعم الدفاع عن البلاد فقد قدم العمدة عبد الله بهادر نحواً من ٦٠٠ مقاتل من رجال جهينة المعروفين بالبأس والشجاعة و١٤٠فرساً و٧٤ بندقية والعديد من الأسلحة الأخرى وكميات كبيرة من الغلال وقدم العمدة محمد إمام الحوت نحو ٤٠ مقاتل بعددهم وعتادهم وقدم سليمان زكي حكيم من أعيان مركز طوخ ٤١ فرس وأحمد حسني مأمور مركز ميت غمر قدم ٣٣ بندقية.

إغلاق ترعة السويس (اسم قناة السويس آنذاك).

لجأ الإنجليز والخديوي توفيق لمختلف الحيل لكسر شوكة أحمد عرابي ورجاله فقد صدر منشور من السلطان عبد الحميد الثاني يعلن فيه عصيان أحمد عرابي وأكد دليسبس أن الإنجليز لن يهاجموه في الجبهة الشرقية عن طريق قناة السويس لأن القناة محايدة وانضم محمد سلطان باشا صراحة إلى الخديوي توفيق ضد عرابي، وعلي يوسف وخنفس باشا وعدد من الضباط احتل الإنجليز بورسعيد وفي ٢١ أغسطس وصلت القوات الهندية إلى السويس وفي ٢٥ أغسطس سقطت المحروسة.

معركة القصاصين

في ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ أثناء تقدم الجيش البريطاني غرباً في محافظة الإسماعيلية بقيادة الجنرال جراهام حوصر هذا الأخير من قبل الأهالي العزُل فطلب الإمداد بمزيد من الذخيرة في الساعة ٤:٣٠ عصراً فوصلته الساعة ٨:٤٥ مساء مما مكنه من القيام بمذبحة كبيرة بين الأهالي بعد أن جاء الجيش البريطاني من الإسماعيلية اشتبك مع الجيش المصري في معركة حامية عند القصاصين وقد كاد الجيش المصري أن ينتصر لولا إصابة القائد راشد حسني.

معركة التل الكبير

وقعت معركة التل الكبير في ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ (الموافق ٢٩ شوال ١٢٩٩ هـ) الساعة ١:٣٠ صباحا واستغرقت أقل من ٣٠ دقيقة فقد فاجأ الإنجليز القوات المصرية المتمركزة في مواقعها منذ أيام وكانت نائمة وقت الهجوم وألقي القبض على أحمد عرابي قبل أن يكمل ارتداء حذائه العسكري حسب اعترافه أثناء رحلة نفيه إلى سيلان.

الخيانة

واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع إلى الزقازيق حيث أعادت تجمعها ظهر ذلك اليوم، ثم استقلت قطار سكك حديد مصر إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة بقيادة خنفس باشا عصر نفس اليوم وكان ذلك بداية الاحتلال البريطاني لمصر الذي دام ٧٤ عاماً ؛ فقد غادرت بعد ذلك القوات البريطانية في ١٨ يونيو ١٩٥٦ بعد توقيع معاهدة ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ مع جمال عبد الناصر: (التي تنص على جلاء القوات من قناة السويس خلال عشرين شهراً).

ما بعد انتهاء المعركة

بعد دخول الإنجليز القاهرة في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ووصول الخديوي قصر عابدين في ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢ تم عقد محاكمة لعرابي وبعض قادة الجيش في المعركة وبعض العلماء والأعيان وتم الحكم عليهم في ٣ ديسمبر ١٨٨٢ بالنفي إلى جزيرة سرنديب سيلان أو سريلانكا حالياً.

بعد المعركة قال الجنرال جارنت ولسلي قائد القوات البريطانية أن معركة التل الكبير كانت مثالاً نموذجياً لمناورة تم التخطيط الجيد لها مسبقاً في لندن وكان التنفيذ مطابقاً تماماً كما لو كان الأمر كله لعبة حرب إلا أنه أردف أن المصريين أبلوا بلاءً حسناً كما تشير خسائر الجيش البريطاني اختار ولسلي الهجوم الليلي لتجنب القيظ ولمعرفته بتفشي العشى الليلي بشكل وبائي بين الجنود المصريين إلا أنه لاحظ أن الجنود النوبيين والسودانيين لم يعانوا من هذا المرض.

<u>نهاية الثورة العرابية وأسباب فشل مقاومة عرابى :</u>

١- خيانة الخديوي توفيق: فقد ساند التدخل الأجنبي في شئون مصر منذ بداية توليه.

٢- خيانة ديليسبس: صاحب شركة قناة السويس، الذي أقنع عرابى بعدم ردم القناة لأن الإنجليز لا يستطيعون المرور عبرها بدعوى أن القناة محايدة، لكنه سمح للإنجليز بالمرور، ولو ردمت القناة لما دخل الإنجليز مصر.

٣- خيانة بعض بدو الصحراء الذين أطلعوا الإنجليز على مواقع الجيش المصري.

٤- خيانة بعض الضباط خاصة علي يوسف، وقد ساعدوا الإنجليز على معرفة الثغرات في الجيش المصري.

٥- خيانة خنفس باشا قائد حامية القاهرة.

٦- السلطان العثماني: أعلن عصيان عرابى في ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وهو وقت حرج جداً، وكان ذلك بتحريض من إنجلترا؛ جعل الكثير من الأشخاص ينقلبون ضده.

٧- قوة أسلحة الإنجليز.

٨- عنصر المفاجأة الذي استخدمه الإنجليز.

المحاكمة

واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع نحو الزقازيق حيث أعادت تجمعها ظهراً ثم انتقلت إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة عصر نفس اليوم وكان ذلك بداية الاحتلال البريطاني لمصر .

أما عمن ساندوا عرابي أو قاتلوا معه أو حرضوا الجماهير على القتال من العلماء والعمد والأعيان فقد كان الحكم أولاً بقتل من أسموهم رؤوس الفتنة من هؤلاء وعزل الباقين ثم خفف لعزل الجميع فعزلوا من مناصبهم وجردوا من نياشينهم وأوسمتهم.

النفي إلى سرنديب (سريلانكا حاليا)

قام الأسطول البريطاني بنفي أحمد عرابي وزملاؤه عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي إلى سريلانكا سيلان سابقاً حيث استقروا فى مدينة كولومبو لمدة ٧ سنوات بعد ذلك نقل أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي إلى مدينة كاندي بذريعة خلافات دبت بين رفاق الثورة وتمت عودة أحمد عرابي بعد ٢٠ عاماً ومحمود سامى البارودي بعد ١٨ عاماً. وعاد عرابي بسبب شدة مرضه أما البارودي لاقتراب وفاته وإصابته بالعمى من شدة التعذيب ولدى عودته من المنفى عام ١٩٠٣، أحضر أحمد عرابي شجرة المانجو إلى مصر لأول مرة.

الباب الرابع

قالوا عن عرابى وثورته

☆ ☆ ☆

<u>رقم مشؤوم رافق أحمد عرابى حتى موته</u>

يُضَرب المثل بالشؤم في الرقم ١٣، وأسباب كثيرة وراء التشاؤم، منها أن البعض يراه رمزاً ليهوذا الخائن الذى خان المسيح في قصة العشاء الأخير، حيث كان رقمه ١٣، لكن المسألة مع أحمد عرابي مختلفة.

كان الرقم ٩ هو الرقم المنحوس في تاريخ عرابي وثورته، حيث اندلعت ثورة عرابي في يوم ٩ من شهر ٩ لعام ١٨٨١ م، لعرض مطالبه على الخديوي.

ورغم الاعتراض وافق الخديوي على مطالب عرابي، حتى تدخلت إنجلترا بالمذكرة المشتركة الأولى في ٧ يناير سنة ١٨٨٢ م، ليستقيل بعدها شريف باشا من رئاسة الوزراء احتجاجاً على قبول الحديوي توفيق لتلك المذكرة.

تغيرات سياسية شديدة عصفت بمصر عقب أحداث ثورة أحمد عرابي، حتى انتهت بفرمان السلطان العثماني في نفس يوم وشهر قيام حركة عرابي العسكرية لكن من عام ١٨٨٢ م أى ٩-٩-١٨٨٢ .

وأدى هذا الفرمان إلى خسران أحمد عرابي ظهير شعبي وديني لحركته العسكرية، أثرت لاحقاً على الحالة النفسية للجيش ومريدي أحمد عرابي في الشارع.

معركة التل الكبير

وبالتوازي مع ذلك كانت معركة التل الكبير في شهر ٩ من عام ١٨٨٢ م، وجرت الاحتلال على البلد قبل نهاية الشهر، حيث دخل الانجليز القاهرة ووصل الخديوي قصر عابدين بعد دخولهم بيوم.

أحمد عرابي وأسرته

وربما كان الرقم ٩ يتسم ببعض الرأفة في أواخر حياة أحمد عرابي، حيث عاد من النفي في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠١ م، وأقام مع أنجاله بعمارة البابلي بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت، بحي السيدة زينب.

لكن عودة عرابي إلى مصر وإن كانت شيئاً مبهجاً له، لكن جعلته يعيش متحسراً لدرجة أن اعتذر عن قيامه بحركة الجيش بعد عودته بشهر واحد، ولم يتحمل المسئولية ونظرات الناس فكان شهر ٩ هو الفصل الختامي لحياة أحمد عرابي نفسه، حيث مات في ٢١ من شهر سبتمبر سنة ١٩٤١ م.

قالوا عن عرابى

يوسف زيدان يستعين بقصيدة لأحمد شوقى

كتب يوسف زيدان على صفحته الشخصية (فيس بوك) مقتطف من أبيات أحمد شوقى صغارٌ فى الذهاب وفى الإياب.. أهذا كل شأنك يا عرابي عفا عنك الأباعدُ والأدانى فمن يعفو عن الوطن المصاب، لدعم موقفه من الثورة العرابية، فى اشارة لشوقى وموقفه السلبى من ثورة عرابى، واستقبله بعد عودته من المنفى بقصيدة نشرت فى (المجلة المصرية) لصاحبها ومنشئها خليل مطران، العدد الثانى فى ١٥ يونيو ١٩٠١وقعها بإمضاء (نديم)، وفيها تشهير واستهزاء بعرابي وتطلعه ليكون ملكا على مصر.

وزعم يوسف زيدان فى منشور آخر على صفحته، مفادها أن التاريخ ملئ بالشوائب والمعلومات المغلوطة، والخوف من الاقتراب أو المساس به، حيث قال إذا كان إلقاء بعض الحصوات فى البحيرة الراكدة، العطنة ، يحدث هذه الحركة وهذا الفزع فماذا لو ألقينا أحجارا !.

يذكر أن الكاتب يوسف زيدان، أكد أن الزعيم الراحل أحمد عرابى كان سبباً لضياع الوطن ودخوله فى نفق مظلم واستعمار دام لأكثر من ٧٠ عاما، مضيفاً أن المناهج الدراسية بها الكثير من الأخطاء، مثل وقوف أحمد عرابى أمام الملك، نافياً رؤية أحمد عرابى الخديوى توفيق.

الرأي الآخر في زعيم الثورة العرابية

ماذا قال محمد عبده والرافعي بحق أحمد عرابي؟

عرفنا من بعض كتب التاريخ أن أحمد عرابي هو قائد الثورة ضد الخديوي توفيق الذي ساعد على تفاقم النفوذ الأجنبي في مصر لكن بعض من عاصروا الثورة كان لهم رأي آخر في عرابي لا يخفي أحدهم إيمانه الشديد بالثورة العرابية أو إعجابه بشخصية قائدها لكنهم يحملوه في الوقت نفسه مسئولية فشل الثورة وسقوط مصر في يد الاحتلال الإنجليزي فماذا قال هؤلاء؟.

عرابي يبحث عن النفوذ والسلطة فقد كان الإمام محمد عبده أحد أصوات الثورة العرابية، رآها وسيلة لتحقيق أفكاره الإصلاحية في المجتمع، وعندما فشلت الثورة بصورة لم يتوقعها أحد، دفع محمد عبده ثمن تأييده لها، فتم سجنه ونفيه خارج البلاد؛ وفقاً لما جاء بكتاب الأعمال الكاملة لمحمد عبده لد. محمد عمارة.

نحن الآن أمام رجل كان من أبرز مؤيدي الثورة العرابية، لكنه كان له رأي آخر في زعيمها، فقد كتب في سجنه قصيدة طويلة يحكي فيها عن أحداث الثورة وتأييد جميع أطياف الشعب لها، ثم الهزيمة المروعة بسبب ما حدث من تخاذل وخيانة قادتها.

وقائد الجند وافانا بلحيته ... يسيل رعبا وثوب العار كاسيه

وسلم السيف واستجدى بغفلته .. عفوا من الحَنِق المغزو خديويه

تخوف الذل واستدعى مطيته .. ركضا إليه فوافاه موافيه

يشكك بعض المؤرخين في وقفة عرابي أما الخديوي توفيق وقوله: لقد خلقنا الله أحرار ولن نستعبد بعد اليوم

محمد عبده يرى في عرابي رجلاً يخاف على حياته ومركزه، فلم تكن الثورة هي همه الحقيقي بقدر المكانة والمنصب أما عرابي فلم يكن يخطر في باله ولا يهتف به في منامه أن يطلب إصلاح حكومة أو تغيير رئيسها، وإنما الذي أحاط بفكره هو الخوف على مركزه ولم يكن له هم سوى التغلب على ما كان بيد الجراكسة من الوظائف العسكرية للتمتع بما يتمتعون به من رواتب ونفوذ، لأنه هو وإخوانه أبناء البلاد أحق من غيرهم بمزاياها الخاصة كانت هذه كلمات محمد عبده وفقاً لما جاء بكتاب تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا.

السياسي أحمد شفيق باشا :لم يكن زعيما وطنيا

لم تكن مطالب أحمد عرابي في البداية إذًا مطالب شعبية، بل نشأت بسبب سخط ضباط الجيش المصريين بسبب التفرقة بينهم وبين الضباط الأتراك والشراكسة في الترقيات بهذه الكلمات يتفق السياسي المصري أحمد شفيق باشا مع رأي محمد عبده في عرابي وذلك في كتابه مذكراتي في نصف قرن.

عرابي استطاع أن يجمع حوله أفراد الجيش المصري، ونجح في المظاهرة العرابية الأولى التي انتهت بوعد الخديوي توفيق بالترقيات وزيادة مرتبات الضباط وتشكيل مجلس النواب.

ولأن العرابيين خافوا من بطش الخديوي وعلموا بنيته في التراجع عن هذه القرارات، فقد عملوا على أن يستميلوا الرأي العام، ويحولوا حركتهم إلى حركة وطنية، وتحولت مطالب عرابي إلى عالم السياسة ورفض النفوذ الأجنبي.

عرابي أصابه الغرور

السياسي المصري الذي عاصر الثورة يقول أن عرابي من هذه اللحظة أصابه الغرور الذي خيل إليه أنه يستطيع بمفرده مواجهة دولتين مثل فرنسا وإنجلترا ففشلت الثورة.

فاضت نفس عرابي غرورا وكِبرا وثقة، واعتقد أنه زعيم مصر الأكبر وخُيل إليه لما له من قوة يستمدها من التفاف الجيش حوله أنه قد غدا صاحب الكلمة النافذة وأن إليه مرجع الأمر كله دون الخديوي وحكومته كانت هذه كلمات أحمد شفيق في كتابه مذكراتي في نصف قرن.

هذه الثقة الزائدة يلمح شفيق أنها كانت سببا في فشل الحركة العرابية يتابع في كتابه ولم يقف غرور عرابي عند حد حكومته بل رسخ في ذهنه أنه لا خوف عليه من وقوف فرنسا وإنجلترا في طريقه لما بينهما من منافسة في السياسة المصرية.

المؤرخ عبد الرحمن الرافعي

لا يخفي المؤرخ عبد الرحمن الرافعي إعجابه بالثورة العرابية كفكرة أو كحركة وطنية مقاومة للإنجليز، حتى إنه يفرد كتاباً كاملاً بعنوان «الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي الذي يؤرخ فيه للثورة ويحلل أسباب فشلها.

عرابي وعدم الكفاءة السياسية

ولا يخفي كذلك إعجابه بشخصية عرابي فهو في نظره قد توافرت فيه جميع صفات الزعيم شخصية جذابة، مؤثرة، تستطيع أن تجذب حولها الجماهير العريضة كان له تأثير السحر في نفوس سامعيه كما يصفه.

ورغم كل هذا لا يستطيع الرافعي إنكار أن عرابي نفسه حمل بعض السمات الشخصية التي ساعدت على فشل الثورة

وسقوط مصر في الاحتلال، بسبب عدم كفاءته السياسية فهو لم يعلم نفسه بنفسه تعليما ناضجا، فقد تلقى في الأزهر بعض القشور الدينية وبعض المطالعات الأدبية مع كتابات الصحف في ذلك الحين وهذا المحصول لا يكفي لتكوين الرأس المدبر للثورات.

إن كان الرافعي يلتمس له بعض العذر في عدم كفاءته السياسية، لكنه يلومه أشد اللوم على غروره الذي جعله يقصي أصحاب الكفاءة السياسية، ظنًا منه أنه قادر على قيادة الأمر وحده.

يتابع الرافعي في كتابه ولو أنه عرف قدر نفسه واستعان برجل من معاصريه مثل شريف باشا قدير في شئون السياسة، لكان ممكناً أن تسير الثورة في سبيل النجاح إلى النهاية لكنه على العكس عمل على إقصاءه، فخسرت الثورة الرأس المفكر الذي كان يستطيع تفهم الملابسات السياسية وقيادة السفينة وسط الخضم الذي كانت تموج فيه.

بعد هزيمة عرابي في معركة التل الكبير اعتقل قادة الثورة وتم نفيهم خارج البلاد، وسقطت مصر في يد الإنجليز.

عدم الكفاءة الحربية

الثقة الزائدة قد تكون شيئا طبيعيا عند أي زعيم يلتف حوله الناس كبطل شعبي لكن الرافعي يعود ويقول أن هذه الثقة كانت تخفي وراءها الكثير من الضعف، فهو لم يكن على جانب من الكفاءة الحربية كذلك.

أنا أقوى من دولة فرنسا - الإنجليزي كالسمك إذا خرج من البحر هلك كلمات يقولها الرافعي عن عرابي الذي يقول أنها لا تشير إلا لغرور وجهل كبير، فهو لم يتلقَ تعليماً عسكرياً نظامياً ولم يتمرن على ضروب القتال قبل الثورة، ولم يتولى القيادة في المعارك الحاسمة التي نشبت بين المصريين والإنجليز، مثل معركة التل الكبير التي لم يشارك فيها لا قائداً ولا محارباً كما جاء في كتاب الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي.

سلامه موسى

وصفه المفكر سلامه موسى بقوله: ليس فى تاريخ مصر، منذ أكثر من ألفى سنة، من خدمها بروح الشرف والوطنية مثل عرابى

دوافع الثورة: بين الظروف الواقعية ونظرية المؤامرة

في كتابه التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر، يذكر الكاتب الإنجليزي ألفريد سكاون بلنت، أن هناك بعض الشكوك المحيطة بمسألة السبب الرئيس الداعي للمواجهة التي جرت ما بين أحمد عرابي والخديوي توفيق، وهي تلك المواجهة التي اعتاد المؤرخون أن يبدأوا بها تأريخهم لأحداث الثورة، حيث يذكر بلنت أن الأمر لم يُقصد به وقوع الصدام ما بين الجيش المصري والخديوي، بل كان في الحقيقة خطة مُدبرة بمعرفة توفيق نفسه، حتى يتمكن من اقصاء مراكز النفوذ التركية والشركسية المتحكمة في الدولة ولما كان الخديوي الشاب قد لمس العداء المبطن ما بين المصريين والأتراك في الجيش، فقد عمل على استغلال الوضع لصالحه، فأخبر عرابي ورفاقه على لسان علي فهمي رئيس الآلاي الأول لحرس الخديوي والمقرب من عرابي، أن رئيس النظار ووزير الجهادية عثمان رفقي يبيتان لهم الكيد، وأنهم إن لم يعملوا على إقصائهما من منصبيهما حاق بهم السوء، ولن يبخل الخديوي بمعاونتهم لأنه يعطف على مطالبهم.

غير أن الكثير من المؤرخين الذين اهتموا بالثورة العرابية، قد وقفوا موقفاً معارضاً من الرواية السابقة، فمثلاً يقول علي الخفيف في كتابه أحمد عرابي الزعيم المُفترى عليه، بعد أن يورد رواية المؤرخ الإنجليزي :وكذلك لم أقع على ذكر هذا الذي يُنسب إلى الخديوي فيما تناولته من الكتب التي عُنيت بتفاصيل الحركة العسكرية، ولعل بلنت ينفرد بهذه الرواية.

ويسوق الخفيف العديد من المسوغات والدوافع الموضوعية التي أدت إلى إشعال فتيل الثورة، فيقول إن توفيق قد ورث عن سلفه العديد من العوامل التي تؤدي إلى الثورة تلك التي راحت تحدوها وتمهِّد لها أقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فرجفت الراجفة.

ويحاول الخفيف أن يبرز شمول وتنوع الثورة العرابية، وأنها لم تقتصر على الجانب العسكري فحسب، فيقول ما كانت الثورة العرابية حركة عسكرية فحسب كما يحلو لكثير من المؤرخين أن يصوروها عن عمد، أو عن غفلة، وأن الذين يفعلون ذلك منهم ليأتون من ضروب الخطأ ما نعجب كيف يحملون على قبوله أنفسهم وعقولهم، وإنما كانت الثورة العرابية إذا أردنا وصفها في جملة هي التقاء الحركتين الوطنية، والعسكرية، واندماجهما، فلما ذهب عرابي إلى الخديوي على رأس جنده في اليوم التاسع من سبتمبر سنة ١٨٨١ ذهب يحمل إليه مطالب الجيش ومطالب الأمة معًا، ومن ذلك الوقت صار سلاح الثورة السيف وقد كان سلاحها القلم، أو بعبارة أخرى حارت قيادتها بين السيف والقلم.

اللقاء الأكثر شهرة: بين عرابى والخديوى

من أشهر الصور النمطية التي خلفتها لنا الثورة العرابية ورائها، تلك الصورة التي تبين اللقاء الشهير ما بين عرابي والخديوي توفيق.

الصورة الشهيرة التي يظهر فيها الزعيم المصري ممتطياً صهوة جواده في إباء وشمم، وقد التف من حوله الجنود المصريون المصممون على استرداد حقوقهم المنهوبة، بينما وقف الخديوي في قبالتهم في غرور مصطنع وأمارات القلق والتوتر تبدو واضحة على ملامحه، مُحاطاً بأتباعه من الإنجليز والفرنسيين من ذوي الميول الاستعمارية والأطماع الكبرى في احتلال مصر ونهب ثرواتها.

تلك الصورة ارتبطت دائماً في عقول المصريين، بالمناظرة التي انعقدت ما بين عرابي والخديوي، والتي بدأت بسؤال الثاني للأول، عن السبب الذي جاء من أجله إلى ساحة قصر عابدين فيجيبه عرابي عندها بثبات وقوة: جئنا نعرض عليك طلبات الأمة والجيش العادلة، ثم يُفصّل هذه الطبات في ثلاثة مطالب محددة وهي: إقالة وزارة رياض باشا، وتنفيذ الدستور، ودعوة البرلمان للانعقاد، وزيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندي.

هنا تُظهر الروايات الخديوي وقد رد بعنجهية بأن تلك الطلبات لا حق لكم فيها، وأنه قد ورث ملك هذه البلاد عن آبائه وأجداده، وأن المصريين ليسوا سوى عبيد إحسانه، فيرد عليه عرابي قائلاً جملته المشهورة:

لقد خلقنا لله أحراراً، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً، فوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم.

بتلك الجملة الختامية يُسدل الستار على هذا المشهد الملحمي المؤثر الذي طالما داعب مخيلات المصريين، في أوقات الثورات والمحن.

ولكن التحقيق العلمي الجاد، يبيّن أن الصورة السابقة كلها ليس لها أي شاهد تاريخي يؤكد على ثبوتها، وذلك أن المراجع التي تعرضت لأحداث الثورة العرابية، ومنها مذكرات أحمد شفيق باشا وكتاب البحر الزاخر في علوم دولة الأوائل والأواخر لمحمود فهمي باشا، تتفق جميعها على إغفال تلك القصة، وعدم الاشارة إليها من قريب أو بعيد، وذلك برغم أن بعض مؤلفي هذه الكتب كانوا من ضمن المشاركين في أحداث تلك الثورة أو من ضمن من عاصروا أحداثها.

ولكن من أين أتت تلك القصة إذن؟

في الواقع، إن المصدر التاريخي الوحيد الذي يذكر تلك القصة بكل تفاصيلها، هو مذكرات أحمد عرابي، المسماة كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية،

التي قام عرابي بتدوينها أثناء قضائه فترة المنفى في جزيرة سيلان عقب فشل الثورة ومن هنا فإنه يحق لنا أن نشكك في تلك القصة وأن نعتبرها من نتاج التخيّلات والأماني التي داهمت عقل الزعيم المنفي في وحدته.

<u>هكذا قيّم الزعماء والمفكرون ثورة عرابى</u>

إذا كنا في المقاطع السابقة من تلك المقالة قد عرضنا لبعض الأحداث الخلافية، التي تباينت فيها أراء المؤرخين واعتقاداتهم، فإننا هنا نحاول أن نُعيد قراءة وتقييم الثورة العربية من خلال كتابات بعض الزعماء والمفكرين الذين شارك قسم منهم في بعض أحداثها، وعاصر القسم الأخر منهم مجرياتها وتأثروا بمآلاتها ونتائجها النهائية.

الشيخ محمد عبده، ذلك الشيخ الكبير والداعية الإصلاحي البارز، كان قد وقف ضد حركة عرابي في البداية، ولكنه سرعان ما أقحم في أحداثها ، فانضم إلى صف عرابي الذي انتظم فيه حينذاك أغلبية رجال الدين ورجال الطبقة الوسطى والمتعلمين.

محمد عبده، تم نفيه بعد إخفاق الحركة ودخول الإنجليز إلى مصر، لكنه عاد إلى وطنه بعد توسط عدد من أمراء الأسرة العلوية الحاكمة لدى المندوب السامي البريطاني على مصر حينذاك، اللورد كرومر.

الشيخ الأزهري بعد عودته، اعتاد أن ينتقد عرابي بقسوة في كتبه ومقالاته، وجرّده من كل لبوس للوطنية كان قد اتشح به إبان الثورة، وأظهر حركته كلها على كونها مجرد محاولة للمجد الشخصي ليس إلا.

ينقل علي الخفيف عن محمد عبده قوله في إحدى مقالاته واصفاً عرابي إنه لم يكن يطلب إصلاح حكومة أو تغيير رئيسها، فذلك مما كان يكبر على وهمه أن يتعالى إليه، وإنما الذي أحاط بفكره وملك جميع مقاصده هو الخوف على مركزه مع شدة البغضاء لمن كان معه من أمراء الشراكسة والمنافرة من عثمان باشا.

الزعيم مصطفى كامل، الذي حمل لواء الكفاح ضد الإنجليز في مطلع القرن العشرين، كان قد أعلن مراراً وتكراراً أن أحمد عرابي، هو المسؤول الأكبر عن دخول الإنجليز إلى مصر، حيث اعتبر أن حركته الطائشة قد قدمت مسوّغات مناسبة لانقضاض المستعمر البريطاني المتربص، ومما قاله في هذا السياق، ما ورد في مقاله المنشور في جريدة اللواء يوم ٢٨ أيلول سبتمبر ١٩٠١م، حيث جاء فيه: عار أكبر وأشهر من عار، رجل تهور جباناً واندفع جاهلاً وساق أمته إلى مهواة الموت الأدبي والاستعباد الثقيل ثم فرّ هارباً من ميادين القتال.

المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي، الذي كان معجباً بالثورة العرابية وأرّخ لأحداثها في كتابه الشيّق الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، كان أول من لقب حركة عرابي بالثورة، حيث أشاد كثيراً بدور عرابي ورفاقه في مواجهة استبداد الخديوي لكنه على الرغم من كل تلك الاشادة والإعجاب ، وجد نفسه مضطراً في نهاية المطاف لانتقاد أحمد عرابي، بسبب قيامه بالاستسلام للإنجليز، حيث قال الرافعي: لقد انتقدت في كتابي عن الحركة العرابية ما جري في التل الكبير من تجاوزات وأخذت على عرابي تسليمه سيفه للقائد البريطاني وكنت أتمنى لو أنه استشهد في المعركة، كما أخذت عليه موقفه الضعيف المتخاذل في المحاكمة.

الرافعي أيضاً، أشار في خاتمة كتابه إلى أن أحمد عرابي قد رجع مرة أخرى إلى مصر، بعد أن قدم التماساً ورجاء إلى السلطات الإنجليزية، وأنه لما عاد إلى القاهرة وجد المصريين قد ضاقوا بالاحتلال وسخطوا عليه، وأن عرابي لم يراع مشاعرهم، فطفق يتغنى بسياسات المحتل ويبدي إعجابه بأسلوب الحياة الإنجليزي وطرق الإدارة البريطانية.

ومن أهم المواقف التي تبيّن التغيير الكبير الذي طرأ على أفكار عرابي بعد رجوعه من المنفى، أنه قال في حديث لجريدة المقطم في عدد الثالث من أكتوبر ١٩٠١ إنه لما وصل إلى السويس سأل الذين قابلوه بالسويس من أفراد أسرته صحيح أن السخرة ألغيت عندكم؟ فقالوا: نعم صحيح، قلت: والكرباج؟ قالوا: أبطل من زمن طويل، قلت: وكيف تُحصّل الأموال من الأهالي؟ قالوا: بالحق والعدل، وكل إنسان يعرف ما له وما عليه، فسألتهم وكيف الاستبداد في الأحكام الآن؟ فأجابوا أنه لم يبقَ للاستبداد أثر فكل شيء مقيّد بقانون ونظام، ولا خوف على محكوم من جور حاكم، لأن كل من له أو عليه قضايا يرفع ظلامته للمحاكم،

فشكرت لله لأنه حقق مناي وأراني قبل مماتي ما طالما كنت أتمناه لبلادي، وقد شاء لله أن يُنعم به على وطني لحكمة قضى ألا يتم ذلك على يدي، بل على يد الذين نازلناهم في ساحة القتال وكانوا لنا أعداء فصاروا لمصر خير الأصدقاء.

أما فيما يختص بي فإني لم أجد من الذين قاتلتهم غير معاملة الكرام الذين يستحق معروفهم الشكر وكرمهم الإكرام فإنهم حفظوا حياتي من الإعدام ولما بتُ وحيداً بذل قوم منهم المال لمساعدتي فكنت أستعين بمالهم في الدفاع عن نفسي.

كل تلك الكلمات، التي تتطاير من حروفها مشاعر تشي بمجاملة وتملق المحتل الأجنبي والإشادة بحسن صنيعه، جعلت أكثر الناس يغضبون من قائد الثورة المنتكسة ويحنقون عليه، فهاجمه كل من الرأي العام والصحافة، وهجاه كبار الشعراء، من أمثال صديقه السابق محمود سامي البارودي، وأمير الشعراء أحمد شوقي، حتى تُوفي عرابي في نهاية المطاف حزيناً وحيداً منبوذاً في ١١ سبتمبر ١٩١١، مخلَّفا من ورائه فصلاً جدلياً شائكاً من تاريخ الأمة المصرية الطويل.

عرابى أول زعيم طالب بالدستور والبرلمان وإقامة الجمهورية!

لقد صدر مئات وآلاف الكتب والأبحاث والدراسات عن الثورة العرابية منذ البداية وحتى النهاية وتضمنت آلاف القصص والتفاصيل السياسية والعسكرية التى تراوحت بين الإشادة والهجوم لكن سطراً واحداً كتبه الأستاذ الكبير محمد زكى عبدالقادر يقول فيه: أهمية عرابى فى التاريخ القومى لمصر أنه أول زعيم فلاح رفع صوته فى شجاعة وجرأة ضد الحكام من الاتراك والشراكسة؟ وأول زعيم فى تاريخ مصر الحديث طالب بالدستور والبرلمان فدل على أنه من هذه الناحية رائد له قيمته واعتباره.

ومنذ هذا التاريخ وكل انتفاضة مصرية تلت بعد ذلك لم تهمل المطالبة بحكم الشورى والبرلمان.

نعم الدستور والبرلمان كانا على رأس مطالب الثورة العرابية بل إن أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد وهو من خصوم عرابى لم يجد بداً من الاعتراف قائلاً: لولا عرابى لم يكن الدستور.

ورغم عدد من الملاحظات التى يوردها المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى عن الثورة العرابية لكنه يؤكد على القول: تولى عرابى زعامة الجيش وزعامة الأمة فى فترة من أهم فترات التاريخ المصرى الحديث، فهو جدير بأن يوفى حقه من الدراسة والتدوين، وعندى أن لسيرته منذ تولى الزعامة مرحلتين: فالأولى هى المرحلة الموفقة فى تاريخ الثورة العرابية إذ ظفرت فيها الأمة بالنظام الدستورى وتقرير حقوقها السياسية وكان لعرابى الفضل الأول فى هذا الظفر القومى.

أما المرحلة الثانية التى يعنيها الأستاذ الرافعى فبدأت عقب تنحية شريف باشا حيث أخذت الثورة تتعثر فى خطاها.

فى زمن ملوك مصر وحكامها منذ فشل الثورة العرابية وحتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان الكلام عن أحمد عرابى جريمة والاشادة به خطيئة ومحاولة انصافه من المستحيلات.

لقد صادر الملك فاروق كتاب المؤرخ عبدالرحمن الرافعى وعنوانه الزعيم الثائر أحمد عرابى وأفرجت عنه الثورة بعد قيامها.

وقبل ثلاثة أسابيع من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢كان الأستاذ عباس محمود العقاد قد صدر كتابه ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو وقد اختار له العقاد هذا الاسم الغريب حتى لا تلتفت الرقابة الى محتواه عن الثورة العرابية لكنه صودر بعد ستة أيام فقط من طرحه فى الاسواق ولم تعد طباعته الا بعد ذلك.

ولعل ما أزعج الرقابة وقتها هو قول عباس العقاد بالحرف الواحد: سميت الثورة التى أعقبها الاحتلال البريطانى باسم الثورة العرابية نسبة الى زعيمها أحمد عرابى بطل الحرية والدستور فى عصره وهى تسمية صادقة وتسمية مطابقة لأن زعامة عرابى لتلك الثورة كانت من مشيئة القدر التى لا محيد عنها فلا حيلة فيها لعرابى نفسه ولا لأحد من أشياعه وأتباعه.

ويضيف العقاد قائلا: لم يكن فى الجيش المصرى من هو أقدر من عرابى ولا أعرف منه بمطالبه وأحق منه بعرضها والدفاع عنها وكانت حالة الجيش فى ذلك العصر تلخص حالة الأمة المصرية فى جملتها.

وفى هذا السياق أيضا كان هناك الكاتب والمؤرخ الشهير الاستاذ محمود الخفيف صاحب أهم وأعمق كتاب عن الثورة العرابية وهو أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه الذى صدر عام ١٩٤٧وبسبب ما احتواه من دفاع مجيد وصادق عن عرابى وثورته الديمقراطية تعرض لغضب الملك فاروق وغضب الإنجليز معاً عندما كشف خيانة الخديو توفيق للثورة وتحالفه مع الإنجليز ثم مؤامرة الإنجليز أنفسهم على مجريات الثورة.

يقول الأستاذ الخفيف:طالب عرابى بالدستور فكان فى طلبه هذا زعيم ثورة تقوم على أجل المبادئ التى شاعت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر التى عدها المؤرخون والناس من أعظم خطوات البشرية صوب الرقى والكمال، فكيف يكون مع ذلك داعية فوضى واضطراب؟!

لقد كثرت فى أوروبا المواقف التى يشبهها فى معناها ومرماها هذا الموقف فسجلتها الشعوب فى ثبت مفاخرها وعدتها من أيامه المشهودة التى تمجد كل عام ذكراها.

وتم لعرابى وأنصاره ما أرادوا فى غير عنف يشوه حركتهم أو ينقص من جلالها كما يحدث فى أشباهها من الحركات.

لقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة فروعيت حرمته أحسن مراعاة وروعى كذلك مقام الخديو فلم يخرج أمامه هذا الجندى الثائر عن طوره بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية وأغمد سيفه ثم ذهب بعد ذلك فأعرب له عن ولائه وشكره باسم الأمة إذا أجابها إلى ما طلبت على لسانه.

<u>نعم كان عرابى يتحدث باسم الأمة!</u>

لقد كان القناصل الأجانب في مصر أول من أشار إلى هذه الحقيقة ويكتب قنصل النمسا إلى حكومته قائلاً: الثورة ليست عسكرية بل إنها ثورة شعبية.

ويؤكد قنصل فرنسا: أن عرابى هو رأس تلك الأمة وأن توفيق الخديو نكرة ولا وزن له! وأن ما حدث هو حركة وطنية وثورة سلمية.

أما اللورد كرومر الاستعمارى العتيد فيقول: إن جنود عرابى كانت قوة وطنية من أبناء تلك الأرض التى تعمل على التخلص من العدو الأجنبى.

أما الاخطر فهو اعتراف كرومر بإنشاء دولة عربية فى مصر أو الشام تقوم على مثل تلك الأسس الدستورية من شأنه أن يؤدى إلى تعرض الدولة لتلك السياسة التى تقضى عليها ولذا كان كل اقتراح من هذا النوع عن الدستور المصرى يقاوم بمنتهى الشدة!

ويكتب يعقوب صنوع اليهودى فى مجلته الشهيرة أبونضارة التى ناصرت وأيدت عرابى فيقول: أقدم الليث عرابى - نائب الجيش ومن خلفه الوغى وأشبال القتال يريدون قهر دولة الاستبداد ورد صولة الفساد وإحياء الوطن بالحرية وهيئة شورية من الشورى فراغ لهم المستبد الأكبر الخديو توفيق المفسد الأول روغان الثعلب وانخفض لديهم انخفاض رأس الأرنب.

ويضيف يعقوب صنوع فى صراحة وجرأة: تبين لى أن أفكار جمهور من الوطنيين خلع الأمة للحاكم أعنى الخديو وقومه وجعل مصر حكومة جمهورية تجرى بمقتضى قانون الجمهوريات الحرة وتنتزع عموم الأجانب من دوائر حكومتها وتستمر فى اصلاح شئونها إننا نرى المصريين اليوم يجمعهم قول واحد وهو خلع الخديو الحالى.

وهو نفس ما أكدته السفارة الانجليزية فى تقرير لها فى أول يونيو ١٨٨٢ بقولها: مازال الخطر ماثلاً بقيام انقلاب عسكرى ويشير تقرير آخر إلى القول يصح أن يقال أن عرابى بك هو فى واقع الأمر الحاكم للبلاد ان كل الأهالى مع عرابى بك منذ عاد إلى السلطة.

ولم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن أحداث مصر كان قنصل أمريكا فى مصر وقتها هو سيمون وولف وكان من الأصدقاء الحميمين إلى عرابى وفى نوفمبر سنة ١٨٨١ كتب تقريراً إلى الإدارة الأمريكية جاء فيه قوله إن القائمقام أحمد عرابى وطنى متطرف ويميل إلى استخدام العنف عند الضرورة ليخلص مصر من الأجانب.

المنفى والوفاة

بعد دخول الإنجليز القاهرة، عاد الخديوي إلى قصر عابدين في ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢، وكان عرابي محتجزًا مع كبار قادته وفي مقدمتهم نائبه طلبة باشا، في ثكنات العباسية، حتى انعقدت محاكمته في ٣ ديسمبر ١٨٨٢ وقضت بإعدامه، ثم تقرر تخفيف الحكم إلى النفي لجزيرة سيلان (سريلانكا) حالياً استقل عرابي ورفاقه السفينة وغادروا البلاد وكان برفقته عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي، واستقروا في مدينة كولومبو لمدة ٧ سنوات، بعد ذلك نقل أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي إلى مدينة كاندي،وبعد صدور عفو من الخديوى عباس حلمى الثانى عاد أحمد عرابي لمصر واستقر بها حتى توفى فى ١١سبتمبر ١٩١١ لتنتهى رحلة نضاله الطويلة من أجل الوطن .

أهم المصادر والمراجع:

١- الزعيم أحمد عرابي، قائد أول ثورة مصرية في العصر الحديث - ديوان العرب .

٢- التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر- ألفريد سكاون بلنت.

٣- أحمد عرابي الزعيم المُفترى عليه - علي الخفيف.

٤- الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث-ميخائيل شاروبيم.

٥- الزعيم الثائر أحمد عرابى -عبدالرحمن الرافعى .

٦- ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو - عباس محمود العقاد.

الفهرس